أكاديمي أمريكي ينقل تنديدات 'بقية العالم' بسياسة واشنطن الخارجية: 'استعداء مجاني و خيانة للمبادئ'!

14/8/2002

محمد اسماعيل

بعد تجاوز الغرب مرحلة الذهول و التعاطف و التضامن "اللامحدود" مع الشعب الأمريكي و توجهات حكومته غداة أحداث 11 سبتمبر، جاءت مرحلة طرح التساؤلات "الوقائية" تجاه السياسة الخارجية "الهجومية" التي تبنتها إدارة بوش. و رغم عدم إقرار الدبلوماسيين الأوروبيين بكون انتقاد واشنطن إنما مرتبط بتصادم مصالحها مع مصالح بقية أعضاء القطب الغربي التي هي بدورها مرهونة بعلاقات ذات توازن حساس مع "بقية العالم" –بما في ذلك أعضاء "محور الشر"- فإن لا خلاف كون الدعم الذي حظي به التدخل العسكري الأمريكي في أفغانستان إنما وجد من بين خلفياته استهداف "نظام إسلامي" و معه مئات و ربما آلاف المدنيين الأبرياء من الأطفال و النساء و الشيوخ. و في حالات و ظروف مغايرة ليس معقولا في نظر الغرب "الأوروبي" أن تبرر المصالح بناء جدار الصمت و غض الطرف عن "تجاوزات"بذلك الحجم.

و قد نشرت "العصر" الأسبوع الماضي ترجمة لمقال "استشرافي" لفرانسيس فوكوياما "المفكر المثير للجدل" حيث أشار إلى "أزمة" العلاقات التي قد تتحول إلى صراع إيديولوجي-سياسي بين الولايات المتحدة و "بقية العالم" كإحدى تداعيات أحداث 11 سبتمبر. و لعل مرحلة النقاش قد حلت محل مرحلة "الإجماع" بعد مرور سنة من الأحداث في أوساط الأكاديميين الأوروبيين و الأمريكيين على حد سواء. و قد نشرت صحيفة **واشنطن بوست** مؤخرا مقالا لمدير و مؤسس معهد الاستراتيجية الاقتصادية كلايد بريستويتز، نقلته صحيفة **لوموند** الفرنسية بدورها لقرائها بالفرنسية.

و يقول الكاتب بأنه سمع تعليقات كثيرة من سياسيين و مفكرين تنتقد السياسة الخارجية الأمريكية خلال جولة دامت ستة أسابيع قادته إلى أربعة عشر عاصمة آسياوية و أوروبية و أمريكية لاتينية إلى درجة أنه خرج بقناعة راسخة مفادها أن الدعم الذي حظيت به واشنطن غداة هجمات سبتمبر من حلفائها و غير حلفائها بدأ بالانهيار، و أن التعبير عن التعاطف تجاه الشعب الأمريكي لا يخفي "ابتهاجا كون الولايات المتحدة فهمت أخيرا ماذا يمكن أن نحس عندما نكون عرضة لأي هجوم". بل هم يعتمدون على "تراجيديا" سبتمبر على أمل أن تحط من كبرياء و التبجح المفضوح لأمريكا في تعاملها مع القضايا الدولية و تلك المتعلقة بالبيئة. و يقر الكاتب بأن عددا كبيرا من الناس في الخارج "مقتنعون بأن الولايات المتحدة تسعى للتحكم في مستقبلهم رغم خطابات مسؤوليها بشأن الديمقراطية و حقوق الإنسان و التبادل الحر، و أنها لا تفكر سوى في مصالحها. و يشير كمثال إلى الاتهامات التي يوجهها مسؤولون في كوريا الشمالية إلى واشنطن بسبب موقفها الاستعدائي تجاه جارتهم الشمالية و هو ما أجهض جهودهم للتقارب، كون أمريكا تريد المسارعة بإثارة انهيار نظام كوريا الشمالية كعضو في "محور الشر"، بينما يرى حلفاؤها الجنوبيون بأن عليهم منع سقوط نظام كوريا الشمالية لأن ليس بإمكانهم التكفل ببلد منهار اقتصاديا.

و نفس الإنكار موجه للسياسة الأمريكية تجاه الصين حيث يرى الكاتب بأن اعتبار بكين "منافسا استراتيجيا بدل شريك استراتيجي" و تصريح بوش بأن أمريكا "ستفعل كل ما ينبغي أن تفعله دفاعاعن تايوان"، هي بمثابة "استعداء غير مجد" مشيرا إلى تصريح مسؤول في شنغهاي قال: "نحن نريد أن نبيع لأمريكا و ليس مهاجمتها". و يعتقد بريستويتز بأن واشنطن تثير مخاوف لا وجود لها بين التيوانيين بل أن تايوان هي التي

تهدد الصين بالغزو اقتصاديا و حتى بشريا في بعض المناطق التي تكثر فيها الأقلية التايوانية الناشطة تجاريا، و أن مخاطر غزو عسكري صيني قائمة فقط في حالة تجرؤ تايوان بإعلان الاستقلال، و "يبدو أن السياسة الأمريكية بصدد تشجيع ذلك" حسب الكاتب.

و ينقل اتهامات متطابقة يوجهها مسؤولون في البلدان التي زارها للولايات المتحدة و يشيرون إلى "خيانة واشنطن للمبادئ التي تدعي الدفاع عنها كلما اقتضت مصالحها الخاصة ذلك" مشيرا كمثال إلى تعامل الإدارة الأمريكية مع الوزير الأول الماليزي محمد مهاتير الذي كان هدفا لغضب واشنطن بسبب فرضه الرقابة على سوق الأسهم خلال الأزمة المالية العام 1997 بالإضافة إلى تهم أخرى تتعلق بانتهاك حقوق الإنسان و وضع نائبه في السجن، لكنه اليوم يستقبل في البيت الأبيض كونه يفعل ما يراد له أن يفعل على جبهة "مكافحة الإرهاب".

و يشير الكاتب إلى عدد من القضايا التجارية التي تحولت إلى نزاعات مفتوحة بين واشنطن و شركائها الغربيين بسبب تعنتها و إصرارها على اتخاذ إجراءات لحماية مصالح الشركات الأمريكية دون أن تعبأ بالضرر الذي يلحق باقتصاديات البلدان الأوروبية و اليابان.

و يصل صاحب المقال إلى اعتبار ملف الشرق الأوسط و الجنوح الانفرادي الأحادي لأمريكا يشكلان حجر الزاوية في ملف "مساوئ الولايات المتحدة" و الكره الذي تجلبه لنفسها. و يسرد ردود فعل الدوائر السياسية و الإعلامية في البلدان التي زارها من بينها ماليزيا و أندونيسيا، مشيرا إلى أن البلدين الأخيرين يتبنيان "إسلاما معتدلا" و ليس لديهما روابط سياسية أو اقتصادية مع الشرق الأوسط رغم موقعهما الاستراتيجي، لكن الوضع في فلسطين يستقطب اهتمام الجميع، و أن "أصدقاء كثيرين لأمريكا توصلوا إلى استنتاج مفاده أن الولايات المتحدة تستهدف الإسلام"، رغم اعتراضه على ذلك مبررا مواقف واشنطن بحجج مرفوضة لديهم قطعا.

و يثير الكاتب مفارقة عندما يشير إلى ملاحظة أحد السفراء الأوروبيين السابقين في أمريكا، و قوله بأن "النظام السياسي الداخلي للولايات المتحدة يسمح لجميع الأطراف المعنية بقضية ما بالتأثير في مجريات اتخاذ القرار بشأنها، غير أن على صعيد السياسة الخارجية ليس هناك أي مجال لإسماع صوت المتضررين من مواقف و قرارات واشنطن و من باب أولى السماح لهم بالتأثير و الضغط" دفاعا عن مصالحهم. و يتمنى صاحب المقال أن تضم جلسات النقاش على مستوى الكونغرس مسؤولين أوروبيين "ينورون" المنتخبين الأمريكيين و الرأي العام المحلي بما يريده "بقية العالم"، إذا اقتنعت امريكا فعلا بأن "حتى قوة عظمى بحاجة إلى أصدقاء" حسب تعبير وزير مكسيك